

الرؤية الشعرية مقارنة تأصيلية

فاطمة صباح منصور وسن عبدالغني مال الله المختار

جامعة الموصل - كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في ٢٠٢٢/٣/١٤ قبل للنشر في ٢٠٢٢/٤/١٣)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الرؤية الشعرية لما لها من أهمية كبيرة في العمل الأدبي فهي تعد من أبرز مرتكزاته، وهي عملية معقدة تتطافر فيها كل مكونات النص الشعري للتعبير عن رؤية الشاعر، وموقفه تجاه العالم والكون، لذا عمدنا إلى المقارنة التأصيلية، إذ كثر الخلط بين مفهوم (الرؤيا والرؤية) ونحن تبيننا مفهوم الرؤية التي بالتاء، لشمولية المحتوى وحسب نظرية بليك، إذ فالرؤية تعني التدرج في المستويات من البصر إلى القلب والإدراك ثم الخيال، فهي تشمل جميع المعاني المختصة بكلتا الرؤيتين (الرؤيا والرؤية) في الوقت ذاته .
وقسم البحث إلى المحاور الآتية :

- ١ . مفهوم الرؤية في اللغة والاصطلاح والفرق بينها وبين الرؤيا.
- ٢ . مفهوم الرؤية في الفكر الفلسفي .
- ٣ . مفهوم الرؤية في الفكر النقدي العربي .
- ٤ . مفهوم الرؤية في الفكر النقدي الغربي .
- ٥ . عناصر الرؤية الشعرية التي بدورها تقسم بناءً على اتفاق الدارسين على (الانزياح، والخيال، والصورة، والذاكرة).

الكلمات المفتاحية: الرؤية - بليك - الانزياح - الخيال - الذاكرة

The Poetic Vision: An Inductive Approach

Fatima Sabah Mansoor

Wasan Abdulghani Al-Mukhtar

**University of Mosul-College of Education for Girls- Department of
Arabic Language**

Abstract:

This research aims to shed light on the concept of the poetic vision, being a cornerstone for any poetic work. It is, in fact, a complex concept in which all the components of the poetic text are interrelated to show the poet's vision and attitudes towards the world. The current research adopts the inductive method as far as the concept of the poetic vision is concerned to be the most appropriate method to comprehensively tackle this concept. According to Blake's theory, 'vision' refers to the sequence of levels, starting from sight, heart, cognition, and then imagination. This sequence includes all the meanings concerned with 'vision' and 'imagination' at the same time. Hence, the present research deals with the following axes:

1. The concept of vision in language and terminology and the difference between them.
2. The concept of 'vision' in the philosophical thinking.
3. The concept of 'vision' in the Arabic literary critical thinking.
4. The concept of 'vision' in the Western literary-critical thinking
5. Elements of poetic vision which are divided based according to the scholars' agreement on displacement, imagination, image, and memory.

Keywords: vision - Blake - displacement - imagination - memory

أولاً : مفهوم الرؤية في اللغة والاصطلاح والفرق بينها وبين الرؤيا:

إن لمفهوم الرؤية أهمية كبيرة في العمل الأدبي فهي تعد من أبرز مرتكزاته، وهي عملية معقدة تتظاهر فيها كل مكونات النص الشعري للتعبير عن فكر الشاعر وموقفه تجاه العالم والكون^(١)، وهي قائمة أيضاً في ذهن كل مبدع سواء أكانت حاصلة بوعي أم دون وعي يعبر عنها في أعماله الإبداعية^(٢)، إذ إن الرؤية تعمل على التوحيد بين العالم والشاعر فيتحول العالم بتجاعيد السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والحضارية، إلى قصيدة شعر تقص لنا أوجاع الذات وعبثية الوجود وفوضى الأشياء، مثل هذه الرؤية تعمل على توليد ما يسميه الحدائين بالقصيدة الكلية^(٣)، فهي إذن بنية أساسية من بنيات العمل الإبداعي الشعري.

ويرجع أصل الكلمة لغوياً إلى الجذر الثلاثي (رأى)، وقد ورد مفهوم الرؤية في لسان العرب بأن " الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين يقال: رأى زيداً عالماً ورأى رأياً و رؤية وراءة مثل راعة وقال: ابن سيده الرؤية النظر بالعين والقلب"^(٤)، يتضح من ذلك أن الرؤية تتعدى لأكثر من مفعول، والرؤية تعني النظر بالعين، وهي من الفعل رأى؛ أي أنها تختص بالرؤية البصرية، ويتعدى معناها كذلك إلى الرؤية بالقلب، ولفظة القلب هنا لا تشير إلى المعنى الحقيقي لها بل أنها تدل على الفكر والعقل .

أما في الاصطلاح فقد ورد مفهوم الرؤية فلسفياً بأنها " مختصة بما يكون في اليقظة فالرؤيا بالخيال، والرؤية بالعين، والرأي بالقلب"^(٥)، فالرؤية بالتاء إذا تكون بالبصر، والرؤيا بالألف تكون من وحي الخيال فهي لا تكون في الإدراك، وهو وعي الإنسان بل من الخيال الباطل الذي يحتاج إلى تفسير وتأويل، ويتطلب أيضاً معرفة بأحوال الشخص الرائي النفسية والاجتماعية لكي يمكن تفسيرها وتحليلها، فهذا (برغسون) يقول: إن " للرؤية ... درجات متفاوتة، فحيث تكون قوتها واحدة يكون التعقيد في بنيتها واحداً، وإذا أُطلقت الرؤية على المشاهدة بالنفس

(١) ينظر: مستويات الرؤية الشعرية في شعر أحمد بخيت قصيدة وطن بحجم عيوننا-الرزنامة الناقصة-

أ نموذجاً، غانم صالح سلطان، بحث مقبول للنشر في مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل : ١ .

(٢) ينظر : الرؤية الشعرية، البشير سراته، موقع الأساتذة المبرزين والباحثين في اللغة العربية بالمغرب،

www.arabeagreg3.voila.net : ٥ .

(٣) ينظر: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية دراسة في الأصول

والمفاهيم، بشير تاويرت : ٤٤٤ .

(٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : ١٤ / ٢٩١ . مادة رأى .

(٥) المعجم الفلسفي، جميل صليبا : ٦٠٤ .

سميت حدساً، وقد تطلق الرؤية على مشاهدة الحقائق الإلهية أو على المشاهدة بالوحي، أو على الإدراك بالوهم، أو المشاهدة بالخيال^(١)، فالخلاصة أن الرؤية فلسفياً أنها " إذا أضيفت إلى الأعيان كانت بالبصر، وتسمى الرؤية بالحاسة، وتقابلها الرؤية بالوهم والتخيل، والرؤية بالتفكير والرؤية بالعقل يراد بها العلم مجازاً، والرؤية مع الإحاطة تسمى إدراكاً^(٢)، ولذلك تبيننا الرؤية بالتاء المربوطة إذ إن الرؤية عندنا تعني التدرج الذي يشمل جميع المعاني المختصة بكلا الرؤيتين (الرؤيا والرؤية) في الوقت ذاته .

أما في الاصطلاح الأدبي فقد ورد مفهوم الرؤية بأنها تمثل " وجهة النظر " ^(٣) أي أنها تمثل وجهة النظر لدى الشخص تجاه شيء معين، وتعرف أيضاً بأنها " نوع من المعرفة التي تتخطى نظام العلم المحدود بالظاهر المحسوس، وتتنافس الفلسفة، وتتغلب عليها في مجال الكشف والخلق والبناء، وهي سمة الشاعر الأصيل " ^(٤) ، وهناك عدة تسميات تطلق على الرؤية الشعرية منها التصور، والتمثل، والإدراك، والوعي، والمعرفة^(٥) ، بمعنى أن الرؤية تعني التدرج في المستويات من البصر إلى القلب والإدراك إلى الخيال وامتزاجها جميعاً لتشكل لنا الرؤية الكلية حسب نظرية بليك^(٦).

فما تقدم يتضح لنا أن للرؤية الشعرية دوراً مهماً في الأدب بصورة عامة، والشعر خاصة، فهي في قصيدة معينة تتضمن حقيقة الأمر عدة رؤى، ابتداء بالرؤية البصرية المادية التي تعتمد على تجسيد واقع ملموس أو ظاهرة متعامل معها مادياً، ومروراً بالرؤية القلبية (العقلية) من خلال طرح الشاعر لتصوراته ومواقفه إزاء كينونته ووجوده^(٧)، فهي إذن سمة الشاعر الأصيل، فعن طريقها يستطيع أن يخبرنا بأشياء شتى، أشياء كان لها وقع خاص في داخله، فهي نوع من المعرفة، ولذلك لجأ إليها كثير من الشعراء المحدثين ووظفوها في شعرهم.

فثمة فرق واضح بين مفهومي الرؤيا بالألف و" الرؤية " بالتاء المربوطة التي تدل على معنى الإبصار، أما " الرؤيا " بالألف الطويلة، فتعطي معنى الرؤيا الحلمية أو المنامية كما جاء

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٦٠٥ .

(٢) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني : ٣٦٨ .

(٣) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش : ١٠٦ .

(٤) قضايا الشعر الحديث، جهاد فاضل : ٢٧٧ .

(٥) ينظر : أسئلة الشعرية، عبدالله العشي : ١١٦ .

(٦) ينظر: الرؤية والعبارة مدخل إلى فهم الشعر، عبدالعزيز موافي: ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٧) ينظر : الرؤية الشعرية : ٤ .

الممكن أن تستوعب الرؤية جميع الدلالات على الرغم من اختلافها، ذلك أن الرؤية الشعرية لقصيدة معينة تتضمن في حقيقة الأمر اعتماد المنهج التجزيئي قصد الدراسة إلى عدة رؤى، فالرؤية البصرية المادية تتجلى في كون القصيدة الشعرية تعمل على تجسيد واقع ملموس أو ظاهرة متعامل معها مادياً، وهذا التجسيد قد يكون وصفاً لهذا الواقع أو شرحاً له، كما قد يكون تعداداً لقضاياها وظواهره^(١)، أما الرؤيا " فتتعلق من الواقع المعاش للذات بتكوينها الثقافي والنفسي والاجتماعي وخبراتها الجمالية في الخلق والتجاور مع المجتمع أو الرفض له "^(٢) .
فالرؤية إذن تعد المرجع الأول التي تتشكل منها الرؤيا الشعرية^(٣)، فتكون بمعنى الموقف، وهي علاقة الكائن الحي ببيئته وبالأخرين في وقت ومكان محددين، لذا فهو كشف الإنسان عن الموجودات التي تلتف حوله من أشياء ومخلوقات بوصف الموجودات عوائق تعترض طريق الحرية لديه، ويحاول التعبير بها عن حالته الحاضرة، إذ يتم تحديد المشروع وتظهر شفافية الحرية من خلال تلك العوامل^(٤)، فتقسم الرؤية على قسمين^(٥):

- ١ - الرؤية العامة : وهو الموقف الذي ينطلق منه الأديب لتقديم نظرته إلى أمر من الأمور في أدبه عامة، ومنها الرؤية السياسية والوطنية والقومية وغيرها .
- ٢ - الرؤية الخاصة : أي الموقف الذي ينطلق منه الأديب لإبداع نصه الأدبي، فالأدب تعبير بالكلمة عن رؤية الأديب لواقعه بوصفه معيداً لتشكيل الواقع يختار ما يتلاءم مع رغبته في تشكيل هذه الرؤية^(٦) .

والمهم مما تقدم هو موقف الإنسان من العوائق، وذكائه في كشف هذه القوى التي تعيق حركة الواقع وتقهقر إنسانية الإنسان كالمرض، والذل، والفقر... إلخ، فالرؤية -بالتاء المربوطة- فعل عقلي، لأنها تمثل موقف الإنسان من الحياة والوجود، أما الرؤيا -بالألف- فهي أنسب للتعبير عن الفعل أو الفن لأنه فعل خيالي متغير، ومتجدد حسب الحالة النفسية .

(١) الرؤية الشعرية : ٤ - ٥ .

(٢) الرؤيا الشعرية في بيانات عبدالوهاب البياتي، بلخوجة عبد العزيز، رسالة ماجستير، بإشراف: بوشيبة الطيب، الجزائر، جامعة أحمد بن بله وهران - السانبا، لسنة ٢٠١٥ : ١٣ .

(٣) ينظر : الرؤيا الجمالية وعلاقتها بالثقافة الاجتماعية، ياسر عبد الرحيم، مجلة المعرفة السورية، ع ٤٥٣، لسنة ٢٠٠١ م : ٧١ .

(٤) ينظر: الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال : ٢٣٢ .

(٥) ينظر: تابع الرؤية والرؤيا، رقيم، محمد العنتلي، <https://www.rqiim.com> .

(٦) ينظر: الرؤية والأداة : ١٥ - ١٦ .

ولذلك فإننا ندعو إلى توحيد الدلالة اللفظية لمفهوم الرؤية الشعرية بإثبات التاء دون الألف لبيان معناها لأنها الأعم والأشمل، وإنهاء الجدل العقيم بين (الرؤيا والرؤية) .
ثانياً - مفهوم الرؤية في الفلسفة :

لقد حظي مفهوم الرؤية باهتمام الكثير من الفلاسفة العرب والغرب على حد سواء، وذلك لما يتمتع به هذا المفهوم من أهمية كبيرة، إذ يعد من الموضوعات الأساسية في العملية الإبداعية ولاسيما الشعرية منها .

فإذا ما عدنا إلى مفهوم الرؤية في الفكر الفلسفي اليوناني فهي قائمة على المحاكاة، فالرؤية عند أفلاطون (ت٣٤٧ق.م) مثلاً تتبع من نظرتة العامة للشعر، فكل الفنون عنده قائمة على المحاكاة، فالتخيل، والتذكر، وإدراك المحسوسات وظائف للعقل لا الحس، وأن أعضاء الحس لا تترك الخصائص المشتركة بين موضوعات الحس وإنما يدركها العقل، والتخيل عنده يرسم في النفس أشباه الأشياء المدركة بالحس، ويأخذ من الحس موضوعاته التي تصبح مادة التفكير، وهكذا يؤدي التخيل وظيفتين: أولهما، استعادة صور المحسوسات وثانيهما، استعمال الصور الحسية في التفكير^(١).

أما أرسطو (ت٣٢٢ ق. م) فقد ذهب الدارسون إلى أن ما يولد الشعر عنده هو غريزة المحاكاة وحب الوزن وليس الوحي والإلهام، فالشعر ظاهرة إنسانية لا دخل للآلهة فيها^(٢)، ومعنى هذا أن الخيال عنده نوع من الحركة الحاصلة في الذهن والنتيجة عن المدركات الحسية التي تتصل بالرؤية البصرية اتصالاً مباشراً، فالتخيل عنده " الحركة المتولدة عن الإحساس بالفعل؛ ولما كان البصر هو الحاسة الرئيسة فقد اشتق التخيل (فنتاسيا) Phantasia اسمه من النور (فاوس) Phaos، إذ بدون النور لا يمكن أن نرى " ^(٣)، إذن فالرؤية عند أرسطو بصرية فهو يركز على حاسة البصر في إدراك المحسوسات أكثر من غيرها واعتماد التخيل عليها، وذلك لأنه لا يمكن الوصول إلى التخيل إلا عن طريق الرؤية .

(١) ينظر: الخيال أداة للإبداع، الحسن الحايل : ٢٣ .

(٢) ينظر : الخيال والتخييل عند حازم القرطاجني : ١٤ .

(٣) كتاب النفس، أرسطو طاليس، تر: أحمد فؤاد الأهواني : ١٠٧ .

أما عن مفهوم الرؤية في الفكر الفلسفي العربي فنلاحظ استعمال مصطلح التخيل وجعله عنصراً أساسياً في تحديد مفهوم الرؤية الشعرية، فالشعر عندهم يعتمد على المحاكاة بوصفها عنصراً أصيلاً في الشعر^(١)، أي: أن مفهوم الرؤية يقابله مفهوم التخيل في الفلسفة العربية. أما الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) فهو " يرى بأن الشعر والأقاويل الشعرية هي التي من شأنها أن تؤلف في أشياء محاكية للأمر الذي فيه القول " ^(٢)، فالمحاكاة هي أساس الشعر عنده، إذ يعد " عملية الإبداع الشعري صناعة أساسها الرؤية و ليس الطبع أو الإلهام " ^(٣).

-
- (١) ينظر : نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، عبد القادر هني : ٣٨٦ .
 - (٢) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، ألفت كمال الروبي : ٧١ .
 - (٣) الخيال والتخيل عند حازم القرطاجني بين النظرية والتطبيق، رشيدة كلاع، رسالة ماجستير، بإشراف العلمي لراوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، لسنة ٢٠٠٥م : ٧ .

أما ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) فهو أيضاً يرى أن " الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية " ^(١)، ويرى أن " المحاكاة هي إيراد مثل الشيء وليس هو، فذلك كما يحاكي بعضهم بعضاً ويحاكون غيرهم " ^(٢)، فابن سينا يرى أن المحاكاة في الشعر لا تكون في اللفظ أو في اللغة فقط- كما رأى الفارابي- وإنما تكون في ثلاثة أشياء هي الكلام، واللحن، والوزن، وربما تكون من شيئين فقط هما: الكلام والوزن وربما تقتصر على اللحن، أو على الإيقاع، وبهذا يدرك ابن سينا أن الفنون تتباين على الرغم من اتفاقها في الجوهر، ولاسيما المحاكاة باختلاف وسائلها ^(٣).

ثم يأتي بعد ذلك ابن رشد (ت ٥٢٠هـ) و يتفق مع ابن سينا في حديثه عن الرؤية الشعرية، إذ يعد الشعرية خاصية التخيل، إذ يقول أن: " الأقاويل الشعرية هي الأقاويل المخيلة " ^(٤).

ثالثاً : مفهوم الرؤية في الفكر النقدي العربي :

لقد ورد مفهوم الرؤية في التراث النقدي العربي مع الناقد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، وحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ)، اللذان يعدان من أكثر النقاد العرب القدماء وضوحاً في التعامل مع مفهوم الرؤية، إذ استعملوا مصطلح التخيل استعمالاً واعياً وربطوه في مفهوم الرؤية ربطاً دقيقاً، والواقع أن الجرجاني هو أول من أشار إشارة صريحة لمصطلح الرؤية، وقد جاء ذلك في سياق حديثه عن المبدع، إذ يقول: " ولكن ما يستحضر العقل، ولم يُعَن بما تتال الرؤية، بل بما تعلق بالرؤية... " ^(٥)، والجرجاني قسم المعاني على قسمين : قسم عقلي، وقسم تخيلي، وقد أمعن في الحديث عن التخيل في الشعر مبيناً كيفية تحققه في الصور واعتماده، والحكم بموجبه في كل جيل وأمة ^(٦)، وربط كل ذلك بعمق التأثير في المتلقي " فالقصد أن يخرج السامع إلى التعجب لرؤية ما لم يره قط، ولم تجر العادة به، ولم يتم للتعجب معناه

(١) فن الشعر من كتاب الشفاء : ابن سينا، تح: وشرح محمد سليم سالم، ١٦١. وينظر: حازم القرطاجني

ونظرية المحاكاة والتخيل في الشعر، سعد مصلوح : ١٠٠.

(٢) نظرية الإبداع في النقد العربي القديم : ٥١ .

(٣) ينظر : نظرية الشعر عند الفلاسفة والمسلمين من الكندي حتى ابن رشد : ٧٢ .

(٤) نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين، الأخضر جمعي : ٣٠ .

(٥) أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاکر : ١٠٧ .

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ١٩٢ - ١٩٣.

الذي عناه، ولا تظهر صورته على وصفها الخاص حتى يجترئ على الدعوى جرأة من لا يتوقف ولا يخشى إنكار منكر، ولا يحفل بتكذيب الظاهر له " (١) .

فمن حديث الجرجاني يتضح لنا أن مفهوم التخيل هو أساس الرؤية الشعرية لديه، وكذا الحال عند الناقد حازم القرطاجني، فهو يذهب إلى أن الشعر " كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام " (٢)، فالتخيل هو الذي يحرك السامع و يثيره بمجرد تصور أو تخيل تلك الصور التي خلقها وركبها الشاعر عن طريق الرؤية الشعرية وفعل المحاكاة .

وإذا كان النقاد العرب القدامى لم يستعملوا مصطلح الرؤية، إلا أنهم استعملوا لفظة (الماء) وجعلوها بؤرة الأدبية (٣)، وقد وردت لفظة الماء عند الجاحظ (٢٥٥هـ) في سياق حديثه عن نظرية المعاني، بقوله " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء " (٤)، وقد احتار النقاد العرب في دلالة لفظة الماء هل هو عنصر من عناصر الشكل أم عنصر من عناصر المعنى ؟ وهذا يعني أن النقاد اعتمدوا المقابلة بين مصطلح الماء والشعرية في دراساتهم، وهذا ما نلمحه في كتابات عبدالمالك مرتاض، وقريباً من هذا التأصيل أيضاً ما ذهب إليه عبدالله العشي مشفحاً كلامه بأدلة مستوحاة من الفكر الأسطوري، وما يثيره من دلالات، إذ ذهب إلى أن مصطلح الماء في اعتقادنا العربي يحيل على مفهوم الرؤية، إذ الماء أول الموجودات، والماء رمز الحياة والخصب، فالماء بذلك يصبح مساوياً للجمال، ولكننا لا ندركه تمام الإدراك، فنبحث عنه وراء اللغة أحياناً، ووراء المعاني أحياناً أخرى، ولكننا لا نعثر عليه، وحين نعثر عليه نجدته مستقلاً عن اللغة والمعاني (٥) .

ومن النقاد العرب المحدثين الذين تحدثوا عن مفهوم الرؤية الناقد (غالي شكري) فقد عدها أحد العناصر الحديثة في الشعر (٦)، لأن الشعر ولاسيما الحديث منه ما هو إلا " موقف من الكون

(١) المصدر نفسه : ٢٢٦ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة : ٧١ .

(٣) ينظر: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية : ٤٨٦ .

(٤) الحيوان : ٣ / ١٣١ .

(٥) ينظر : الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية ومصادره : ٤٨٧ .

(٦) ينظر : شعرنا الحديث إلى أين : ٢٥ .

كله، لهذا كان موضوعه الوحيد هو وضع الإنسان في هذا الكون، ولهذا كانت أدواته الوحيدة هي الرؤية التي تعيد صياغة العالم على نحو جديد " (١) ، فالحياة بطبيعتها لا تسري على وتيرة واحدة، إنما يخضع الإنسان فيها عبر صيرورته النامية لسنوف من العلاقات تسير به تارة نحو اليمين، وتارة نحو اليسار دون أن يسمح له بالتدخل لاختيار الوجهة التي يجد فيها إشراقاً مستقبلاً، الأمر الذي اضطره أن يبحث عن هذا المستقبل، وأن يصطدم بالعلاقات المنوه عنها، هذه الحركة الدائمة والدائبة هي مصدر الرؤية عند الشاعر، وهي موضوعها أيضاً، فالشاعر باعتباره رائياً وقادراً على كشف العلائق الكامنة وسط الأشياء، أقدر على الغوص والنفوذ في حركة المجتمع والكون بصورة عامة، وذلك في محاولة منه لقراءتها قراءة تتيح له إعادة نسقها وفقاً لرؤاه النابعة من موقفه تجاهها (٢).

رابعاً: مفهوم الرؤية في الفكر النقدي الغربي :

أما في النقد الغربي فقد كانت العناية بالرؤية كبيرة ولعل من أهم النقاد الغربيين الذين اهتموا بها الناقد (نوثرروب فراي) الذي استعملها بمعنى موسع، إذ جعلها مرادفة للأدب ذاته، فالأدب عنده ليس محاكاة للطبيعة ولا يشير إلى الحقيقة الواقعية، بل هو حلم الإنسان، واسقاط تخيلي لرغبات الإنسان ومخاوفه، وبناءً عليه فإن جميع الأعمال الأدبية إذا أخذت معاً تؤلف رؤية إجمالية هي رؤية لنهاية الصراع الاجتماعي، ورؤية الرغبات المشبعة في عالم بريء، ورؤية المجتمع الإنساني الحر (٣).

وهذه الرؤية تتخذ أبعاداً أكثر استغراقاً واستنباطاً عند الناقد (رامبو)، فهو أيضاً قد تناولها بل جعل نفسه رائياً ولكنه ليس الرائي الأوحى، إذ يعد بودلير سارق النار الحقيقي في رأي رامبو نفسه، وهما يشكلان مع مالارمييه ثلوثاً للشعر، فقد اكتشفوا أن الشعر لا يكمن سره في البيت الغنائية أو الطرافة حسب بل في إشراق لحمته واستفزاز الفكر والحساسية الساعيين وراء المطلق (٤).

(١) المصدر نفسه : ١١٤ .

(٢) ينظر : قضايا الإبداع في قصيدة النثر، يوسف حامد جابر : ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) ينظر : الرؤيا في شعر البياتي، محي الدين صبيحي : ٢٢ .

(٤) ينظر: الرؤيا الشعرية سفر على أجنحة الخيال، محمد رضا شياح، الحوار المتمدن،

<https://www.ahewar.org> .

فرامبو" كان يسعى للوصول إلى حالة من الوعي الباطني، وهي صفة إشراقية صوفية يتصف بها شعر الرؤيا عبر الكشف للوقوف وراء حقيقة الأشياء، فالشعر لم يعد شكلاً أو تصويراً لغوياً فخماً حتى يكون وحيًا " (١)، والطريق إلى ذلك حسب رامبو أن الشاعر يجعل من نفسه رائياً بتشويش طويل هائل ومنهجي لكل الحواس، وذلك يتم بالخروج من الواقع والوعي والدخول إلى عالم آخر، لتظهر الأمور على غير حقيقتها بتجاوز المظاهر الطبيعية للأشياء (٢)، ولا يتم ذلك إلا عن طريق رؤيا الكشف منطلقاً من الرؤية البصرية كما جاء في رأي أرسطو. ومن النقاد الذين تطرقوا لمفهوم الرؤية أيضاً الناقد (وليام بليك)، فهو يعد من أبرز النقاد الذين اختلط مفهوم الرؤية الشعرية لديهم، إذ يجمع بين مستويات الرؤية الشعرية (البصرية، والقلبية، والخلمية)، ويمنحها أبعاداً أخرى أقرب إلى الحقل الأدبي، فالرؤية الشعرية عنده رباعية الأبعاد من خلال تدرج خاص لتصل بأبعادها كافة إلى الذروة التي تمثل الرؤية الإبداعية بشكل عام، إذ يرى أن الرؤية ذات البعد الواحد هي ما يخص حياتنا اليومية، وهي ما ندركه من خلال إحساساتنا في مواجهة الأشياء، أما الرؤية ذات البعدين؛ فهي تعتمد على الخيال بشكل كبير - وسنتطرق إلى الحديث عنه لاحقاً - فهو يعد أحد أهم عناصر الرؤية الشعرية، في حين أن الرؤية ذات الأبعاد الثلاثة تعد الأكثر تطوراً من الرؤيتين السابقتين، إذ يراها رمزاً؛ لأن الرمز يقدم الحقيقة السامية، فهو الوسط الذي ترى من خلاله الرؤية للحقيقة المتمثلة في (الرمز، واللهو، والحلم) بوصفها أبعاد الرؤية الثلاثية، أما الرؤية ذات الأبعاد الأربعة فهي رؤية بعيدة؛ لأنها تشمل رؤية الأسطورة* والنبوءة ورؤية الفرع والتطهير، أي: أنها الرؤية المقدسة أو الرؤية الإبداعية (٣).

خامساً - عناصر الرؤية الشعرية :

إن لمفهوم الرؤية الشعرية عناصر عدة يتكون منها النص الشعري للتعبير عن فكرة النص ومضمونه وشرف معناه، فالشاعر يعتمد عناصر مختلفة للتعبير عن رؤيته تجاه محيطه، ويمكن إجمال هذه العناصر من خلال رصدنا لها بما يأتي :

(١) الرؤيا الشعرية في بيانات عبد الوهاب البياتي : ١١ .

(٢) ينظر: الرؤية والشعر العربي الحديث، إسماعيل دندي، مجلة المعرفة السورية، السنة ٣٠، ع ٣٣٩، كانون الأول ديسمبر، لسنة ١٩٩١م : ١٤٦ .

* بوصفها مكونا مهما من مكونات الرؤية.

(٣) ينظر : الرؤية والعبارة: ٣٩١ - ٣٩٢، وينظر : مستويات الرؤية الشعرية في شعر أحمد بخيت : ٥ .

١ - الانزياح : يعد الانزياح مكوناً أساسياً لكل عمل أدبي، بوصفه من عناصر الرؤية الشعرية، فهو يعد بؤرة التشكيل اللغوي للنص الشعري، ويعرف بأنه " كسر النمط والطرائق التقليدية في بناء القول الشعري من خلال سعي النص الشعري إلى تمثّل أشكال وطرائق جديدة في بناء المشهد الشعري، سياقاً، ولغة، وخيالاً، ودلالة " (١)، ويعرف أيضاً بأنه " انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بوساطته التعرف على طبيعة الأسلوب الأدبي ذاته" (٢)، ولما كان الشاعر هو العراف، فإن كلماته تتميز بصبغة سحرية نتيجة لخروجها عن اللغة الاعتيادية، وظلت تلك السمة مرتبطة بالشعر الكلاسيكي لاعتماده على الاستعارة أو الكناية، وهما أداتان بلاغيتان تمثل كل منهما انزياحاً عن قانون اللغة المعيارية (٣)، وعليه فالانزياح اللغوي على نوعين : (٤)

الأول : انزياح بلاغي، يأتي من خارج النص (استعاري، وكنائي) .

الثاني : انزياح دلالي، يأتي من داخل النص أي: (إعادة شحن الدال بدلالة جديدة) .

ولذلك نجد كثيراً من الشعراء قد لجأوا إليه ووظفوه في شعرهم، إذ إن جمالية النص تكمن بانزياحاته، فالانزياح عن المألوف وكسر النمطية يعد " الخصيصة الجوهرية التي تمكن اللغة من الخروج التواصلي الاعتيادي إلى لغة أدبية شعرية (رؤيوية) بحيث تنفتح اللغة في هذه الحالة عبر ظاهرة الانزياح على عدة خصائص أسلوبية تعد الملاذ التفردية عند الأداء المميز للغة" (٥)، وبذلك يمكن أن يعد الانزياح السمة الجوهرية للنص الأدبي، فمن خلاله يستطيع الشاعر أن يقدم عدة رؤى .

ومن أبرز النقاد الذين تعاملوا مع مفهوم الانزياح (جان كوهين)، فالشعر عنده انزياح عن معيار قانون اللغة (٦)، وهو الشرط الأساس للوصول إلى الرؤية الشعرية، باعتباره خرقاً للنظام اللغوي المعتاد (٧)، ومن العناصر المهمة في تكوينها .

٢ - الخيال : يعني الخيال عند الإنسان القدرة على خلق الصور، وهو يعد من عناصر الرؤية الشعرية، إذ إن أي عمل جمالي تزداد أهميته بمقدار الرؤية التخيلية المتوهجة فيه، وهو يعرف

(١) الانتهاك ومآلات المعنى، قراءات سيميائية في الخطاب الشعري الحديث، ياسر عثمان : ٥ .

(٢) الأسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد : ١ / ١٩٨ .

(٣) ينظر: الرؤية والعبارة : ٢٦٢ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦٢ .

(٥) شعرية الانزياح في بنية القصيدة العربية، توتاي سيف الله هاشم : ١٣ .

(٦) ينظر : بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري: ٦ .

(٧) ينظر : نقد مفهوم الانزياح، إسماعيل شكري، <https://www.anfasse.org> .

بأنه " القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صوراً للأشياء أو الأشخاص ...، وهو قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة " (١)، فهو إذن نشاط نفسي لدى الشاعر، إذ بفضل لا يتمكن الشاعر من تصور ما هو موجود فعلياً حسب بل وحتى ما يستحيل وجوده على أرض الواقع (٢)، ولذلك فهو يتصل بالرؤية الشعرية اتصالاً مباشراً لما له من أهمية في تحقيقها، ف " كل الوظائف العقلية التي يقوم بها الإنسان، لا يمكن أن تتواجد بمعزل عن وظيفة الخيال " (٣).

وهناك الكثير من النقاد من اهتم بمفهوم الخيال، ومن هؤلاء النقاد كولردج (ت ١٨٣٤م) فهو يعده " القوة التي بواسطتها تستطيع صور معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور، أو أحاسيس في القصيدة، فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصرير...، وهذه القوة التي هي أسمى الملكات الإنسانية تتخذ أشكالاً مختلفة، منها العاطفي العنيف، ومنها الهادئ الساكن" (٤)، ولهذا كان للخيال قدرة هامة على الصهر من خلال رؤية الشاعر في النص الأدبي، فتصبح هذه العملية درجة متطورة من إدراك العالم الخارجي وفهمه.

وكولردج يميز بين نوعين من الخيال، إذ يقول: " إنني أعتبر الخيال إما أولياً أو ثانوياً، فالخيال الأولي هو في رأيي القوة الحيوية أو الأولية التي تجعل الإدراك الإنساني ممكناً، وهو تكرر في العقل المتناهي لعملية الخلق الخالدة، الأنا المطلق" (٥)، أما الخيال الثانوي فيصفه بالقول: " هو في عرفي صدى للخيال الأولي غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية، وهو يشبه الخيال الأولي في نوع الوظيفة التي يؤديها، ولكنه يختلف عنه في الدرجة وفي طريقة نشاطه إنه يذيب، ويلاشي، ويحطم لكي يخلق من جديد " (٦)، فالشاعر لا يكتفي بالخيال العادي بل يتجاوزه إلى الخيال الشعري الذي يساعده في رؤيته الشعرية الإبداعية، ف " الخيال الأولي يسعى إلى الوقوف على ماهية الأشياء وإدراكها، ويحتاج إلى سبر أغوار الشيء والنفاذ إلى أعماقه... ولكن الخيال الثانوي ليس إدراكاً يقوم على استقصاء الصفات والجزئيات التي يتركب في مجموعها الشيء

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس : ١٦٣ .

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي، مصطفى حسبية : ٢١٤ .

(٣) الرؤية والعبارة : ٣٧١ .

(٤) كولردج، مصطفى بدوي : ١٥٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٨٧ . وينظر: الرؤية والعبارة : ٣٧٤ .

(٦) المصدر نفسه : ٨٧ .

المدرک، وإنما هو إدراك يقتصر فيه الشاعر على الصفات التي تهمة فقط في الشيء المدرک^(١)، وبذلك يقوم الخيال عند الشاعر على الربط بين الطبيعة والعمل الفني باعتماد الرؤية الحسية مادة له تساعده على بناء عمله الشعري .

ومن الغربيين الذين تطرقوا لمفهوم الخيال أيضاً الشاعر (وردزورث)، فقد انطلق في تحديد مفهوم الخيال من الدور الذي يؤديه في الرؤية الإبداعية للنص، وذلك بخلقه الانسجام بين الأشياء المتنافرة، فالخيال عنده هو " تلك القدرة الكيماوية التي بها تمتزج العناصر المتباعدة في أصلها والمختلفة كل الاختلاف كي تصير مجموعاً متآلفاً منسجماً " ^(٢)، ويصف الخيال كذلك بأنه " ذو سلطان ثابت الدعائم، لا يهتدي المرء إليه، لأنه يعجز عن الموقف على عظمته، إلا إذا عرفه عن طريق الشعور، وحينئذ لا تستطيع قوة أخرى من قوى العقل أن تضعفه أو تفسده أو تنفق منه " ^(٣) .

وفي ضوء ما تقدم فالخيال ذو مكانة تفوق قوى العقل الأخرى ولعظمته لا يهتدي المرء إليه مباشرة، إلا إذا عرفه عن طريق الشعور الذي يتم من خلال رؤية الشاعر البصرية للأشياء التي يريد الوصول إليها، وإبرازها للمتلقي من خلال نصه الشعري، إذ إن وردزورث يصف الخيال بأنه " العدسة الذهبية التي من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها ولونها " ^(٤) .

٣- الصورة : الشعر نص إبداعي والشاعر يعبر فيه عن رؤيته الشعرية بطريقة غير تقليدية، إذ لجأ لأساليب مجازية متعددة كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز وغيرها، إذ الصورة تقع في نقطة المركز من اهتمامات الشعراء والنقاد، فالشاعر لا يتيسر له أن ينقل التجربة دون اللجوء إلى الصور الشعرية، والنقاد كذلك لا يستطيع إطلاق حكم حقيقي إلا بالاعتماد على دراسة الصورة الشعرية، لأنها أساس الشعر بل هي الشعر نفسه، على حد تعبير الجرجاني ^(٥) .

وتعرف الصورة في الاصطلاح الفلسفي بأنها " الصفة التي يكون عليها الشيء " ^(٦)، أما في الاصطلاح الأدبي فإنها " تمثيل بصري لموضوع ما ... وإنتاج للخيال المحض، وهي بذلك

(١) دراسات في النقد الأدبي المعاصر، محمد زكي العشماوي : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال : ٣٨٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٠ .

(٤) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال : ٣٨٩ .

(٥) ينظر : نظام الشعر دراسة في الشعر العربي الحديث، عباس إبراهيم : ١٢ - ١٣ .

(٦) المعجم الفلسفي، جميل صليبا : ٧٤١ - ٧٤٢ .

تبدع اللغة، وتعارض المجاز، الذي لا يخرج اللغة عن دورها الاستعمالي" (١) وهي " رسم قوامه الكلمات المشحونة بالأحاسيس والعواطف" (٢)، ولأهمية الصورة في تشكيل النص الشعري، فقد ورد ذكرها على ألسنة بعض النقاد العرب القدماء، ومن هؤلاء النقاد الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الذي استعمل مادة الصورة في مجال الأدب في معرض تعريفه للشعر قائلاً: " فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير" (٣)، وكأنه أراد بالتصوير هنا العملية الذهنية التي تصنع الشعر، فالشاعر من خلال رؤيته الشعرية يصور لنا ما يدور في ذهنه يطرحه في النص الأدبي بصور فنية مجسدة للحدث الذي يريد إيصاله إلينا، بوصف الصورة " الومضة التلقائية التي تفرض نفسها على المبدع في لحظة من الزمن كتعبير عن حالة نفسية وشعورية" (٤). وقد حظيت الصورة الشعرية باهتمام النقاد المحدثين أيضاً، فقد تطور المصطلح في النقد الحديث ليأخذ أبعاداً نفسية واجتماعية وفلسفية وفنية، إذ تتفق آراء الباحثين على أن الصورة أداة فنية لاستيعاب أبعاد الشكل والمضمون وما بينهما من وشائج تجعل الفصل بينهما مستحيلاً (٥). وهناك من يرى أن للصورة معنيين (٦) :

الأول: ما يقابل المادة الأدبية ويظهر في الخيال والعبارة.

والثاني: ما يقابل الأسلوب ويتحقق بالوحدة، وهي تقوم على الكمال والتأليف والتناسب .

وتتمثل أهمية الصورة في الرؤية الشعرية من خلال الطريقة التي تفرض علينا نوعاً من الانتباه للمعنى، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى الذي تعرضه الصورة وتنتأثر به، فالصورة الشعرية تفرض على المتلقي نوعاً من الانتباه واليقظة، إذ إنها تبطئ إيقاع التقائه بالمعنى الذي يقصده الشاعر في النص، وتتحرف به إلى إشارات فرعية غير مباشرة، لا يمكن الوصول إلى المعنى دونها (٧) .

ومن النقاد الذين أولوا مفهوم الصورة أهمية أيضاً (غاستون باشلار) فقد أسهب في الحديث عنها و" اتجه مباشرة لوصف ماهية الصورة الشعرية باحثاً عن أصلها، كما تحدث في خبرة

(١) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ١٣٦ .

(٢) الصورة الشعرية، سيسل دي لويس، تر: أحمد نصيف الجنابي وآخرون : ٢٣ .

(٣) الحيوان الجاحظ : ٣ / ١٣٢ .

(٤) الصورة الشعرية قديماً وحديثاً، عبد الحميد قاوي، ديوان العرب، <https://www.diwanalarab.com>

(٥) ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني : محمد حسين الصغير : ٣٧ .

(٦) ينظر : أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب : ٢٥٩ .

(٧) ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور : ٣٢٧ - ٣٢٨ .

الوعي أو الذات (القارئ)، الذي يحاول فهم هذه الصورة الشعرية من خلال ما تمثله خيالياً، فكان بحثه ينصب على الخبرة بالصورة الشعرية، ليبين لنا كيف تحدث تلك الصورة في خبرتنا، وكيف تؤثر خبرتنا في فهم هذه الصورة " (١).

ففي الصورة الشعرية يتداخل الوجود النفسي ويتفاعل مع عالم الكائنات، فالمفهوم الشامل الذي استقر عليه النقد العربي للصورة الشعرية هو " التفاعل المتبادل بين الفكرة والرؤية والحواس الإنسانية الأخرى من خلال قدرة الشاعر في التعبير عن ذلك التفاعل بلغة شعرية مستندة إلى طاقة اللغة الانفعالية بمجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها في خلق الاستجابة والإحساس بذلك التفاعل عند المتلقي سواء أكانت الاستجابة حسية أم معنوية تجريدية " (٢).

٤ - **الذاكرة** : تعد الذاكرة المستودع الذي يودع فيه الفنان أو الشاعر صورته وانطباعاته وتجاربه، ولعل أهميتها تنبثق من ارتباطها بعنصر المخيلة لديه (٣)، فالخيال يعد " جناح الإبداع لا يحده مكان أو زمان والذاكرة هي وقوده، فكلما تنوعت خبرات الفرد زاد خياله، وإذا زاد الخيال أبداع الفرد" (٤)، إذ تعد المخيلة " الشاشة التي تعكس تجربة الشاعر بكل تفصيلاتها وجزئياتها ساعة الإبداع، وكلما كانت تجربة الفنان تجربة ثرة غنية كلما كان ادائه الفني ثراً غنياً" (٥)، لذا تعرف الذاكرة بأنها رحم المخيلة البشرية الذي تختزن فيه مجموعة من الصور الحقيقية والمفترضة، وهي القلب النابض والواهب للتذكر، فهي تعد بمثابة الصندوق الأسود في الطائرة، لأنها تختزن مجموعة أسباب ومسببات وعوامل بنائية لسيرورات سلبية وإيجابية تمر بها الذات حتى أشبهت ذلك الصندوق في أنها كاتمة أسرار ذواتها (٦).

وتعرف الذاكرة في المفهوم الفلسفي بأنها " القوة التي تحفظ ما يدركه الوهم من المعاني الجزئية وتذكرها " (٧)، وهي أيضاً " وظيفة نفسية قوامها معاودة إنتاج حالة وعي سابقة مع هذه

(١) جماليات الصورة، تر: غادة الإمام: ١٥٥ .

(٢) الشعرية في ديوان بدر شاكر السياب، سعدون محمد، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د. صالح مفقودة، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير - بسكرة - لسنة ٢٠٠٩م : ١١٠ . المصدر نفسه : ١١٠ .

(٣) ينظر : دراسات في الإبداع الفني في الشعر، رؤى النقاد العرب في ضوء علم النفس الأدبي والنقد الحديث : جهاد شاهر المجالي، ٨٣ .

(٤) الإبداع والذاكرة : فوزان عبد الرحمن الفوزان، <http://fozancom.blogspot.com>

(٥) دراسات في الإبداع الفني في الشعر: ٨٣ .

(٦) ينظر: فاعلية الذاكرة في تليباثي بين أسطورة الواقع وسحر الخيال، إيمان العبيدي : ٧ .

(٧) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني : ٣٦٦ .

السمة التي يعترف بها الفاعل بصفقتها هذه " (١)، وقد ورد عن أفلاطون أن : العلم تذكر والجهل نسيان، أما أرسطو فالذاكرة عنده أو التذكر قوة استرجاع الذكريات مع ما يصاحبها من ظروف الزمان والمكان (٢)، فللزمان والمكان الأثر الكبير في استرجاع الذكريات، ولاسيما عند الذات الشاعرة، إذ يعرف الاسترجاع أو الاستدعاء بأنه " ما تنتقل به عملية التذكر من المدركات الخارجية إلى عالم التصورات الذهنية " (٣)، فعن طريقه يتم استدعاء الأفكار وتسلسلها حسب طبيعة الاستدعاء " فثمة ما يسمى في فعل الذاكرة بالترابط أو تداعي الأفكار، فالفكرة تستدعي فكرة أخرى، وترتبط بها من قريب أو بعيد، والواقع أن تداعي المعاني في أصله يعتمد على ما سبق للمرء معرفته أو الوقوف عليه من أفكار " (٤) .

ولما للذاكرة من دور كبير في تكوين الرؤية الشعرية، فقد وقف الناقد الكبير حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) في معرض حديثه عن الشعر وعلاقته بالذاكرة وقفة متأنية، فهو يؤكد أنه لا يتم لشاعر قول الشعر على الوجه المطلوب إلا إذا امتلك قوة حافظة، وقوة مائتة، وقوة صانعة (٥)، كما يذهب إلى أن الذاكرة هي جوهر عملية الإبداع الفني، ويشبهها بالمستودع الذي يحفظ للشاعر كل صورته وأفكاره وانطباعاته، فحينما تحين لحظة الإلهام أو الأبداع الفني سرعان ما تمدده ذاكرته بما تتطلبه المناسبة من صورٍ ومعانٍ وتعابير (٦) .

وتتجلى أهمية الذاكرة في الرؤية الشعرية بأنها "مصدر مهم لإلهام الشعراء، ولا يمكن لأي شاعر أن يتجاوزها، فهي تشكل الفاعل الأساس في بناء الكثير من النصوص، فلا يوجد قصيدة أبدعها الشاعر إلا ولها ماضٍ في نفسه " (٧)، فالقصيدة التي بلا ذاكرة تكون بلا نبض وبلا حياة، إذ إن الكثير من جماليات الشعر تكون مرجعيته الذاكرة، فالشاعر حينما يكتب القصيدة

(١) موسوعة لالاند الفلسفية، أندرية لالاند، تر : خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات : ٢ / ٧٨٣ .

(٢) ينظر : المعجم الفلسفي، مراد وهبة : ١٧٧ .

(٣) المصدر نفسه: ٥٥ .

(٤) سيكولوجية الإبداع في الفن و الأدب، يوسف ميخائيل : ٢٣٤ .

(٥) ينظر : دراسات في الإبداع الفني في الشعر : ٩٣ .

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ٩٣ .

(٧) الذاكرة وأثرها في شعر بدر شاكر السياب قصيدة شباك و فيقة ٢ أنموذجاً، وسن عبد الغني مال الله

المختار، مجلة سُر من رأى للدراسات الإنسانية، مج ١٧، ع ٦٦، السنة ١٦، لسنة ٢٠٢١م : ٢٤٦ .

تستنفر في داخله أدوات هائلة وفي طليعتها الذاكرة^(١)، فهي " تجهز الشاعر ببعض الأحداث عبر إعادة خلقها من جديد بطريقة تتلاءم وموضوعه وحالته النفسية " ^(٢).

ولمرحلة الطفولة دور هام في تشكل مفهوم الذاكرة بصورة عامة ولاسيما عند الشعراء، فهي تدخل في تكوين رؤيتهم الشعرية؛ لأنها تعزز البنى الأساسية لها بأشكال وصيغ تبقى ماثلة وفاعلة في عمق هذا المفهوم مهما حصل من تعديل أو تسوية أو إعادة تنظيم في المراحل اللاحقة من العمر، فما يحدث بالطفولة هو ما نصادفه طوال الحياة^(٣)؛ إذ " تعد طفولة الشاعر الكنز الملكي للحياة الباطنية والنبع الأكثر ثراءً لمكاته الشعرية، لأنها تعني زمن الطهر والبراءة وحياة اللامبالاة، فالطفولة هي جزء لا يتجزأ من الذاكرة التي يجد فيها الشاعر نوعاً من البدائية، فعقل الطفل مثل عقل الرجل البدائي، والشاعر يكون منتجاً للأساطير بشكل دائم لأنهم يستعملون خيالهم في تفسير الظواهر المستعصية على الفهم " ^(٤)، فالطفولة كما يراها (سيجموند فرويد) من المصادر التي تستعملها الأحلام بوصفها مادتها الأساس لتعيد صياغتها من جديد^(٥).

والذاكرة تعتمد في عملها على قوة الحدث^(٦)، فكما " كانت الانطباعات الأولى التي تبصمها الطبيعة على العقل أقوى، وخصوصاً عقل الطفل، كلما كانت صور الذاكرة التي يخزنها العقل أكثر ثباتاً وقوة وزادت قدرة الإنسان على احتمال حياته وفهمها، ويبقى من واجب الشاعر استكشاف معنى هذه الصور وضمان حضورها الدائم " ^(٧).

وثمة عاملان أساسيان تقوم عليهما الذاكرة ويعتمد عليهما الشاعر كثيراً في تكوين رؤيته الشعرية داخل النص الشعري: العامل الأول، هو تخزين المعلومات بصورة مؤقتة أو ما يطلق عليه تخزين المعلومات على المدى القصير، والثاني، تخزين المعلومات على المدى البعيد بصورة دائمة، والأخير هو المسؤول عن الذكريات التي تدوم وتترك أثراً في الدماغ لا يمحي^(٨)، وعليه فهذه العاملين الدور الكبير في تشكل الذاكرة الإبداعية لدى الشاعر، فهو عادة ما يلجأ

(١) ينظر : الذاكرة رحم القصيدة، صحيفة الخليج، <https://www.alkhaleej.ae>.

(٢) الذاكرة وأثرها في شعر بدر شاكر السياب : ٢٤٦ .

(٣) ينظر: تنصيب الذاكرة في الشعر العراقي الحديث التجربة الشعرية عند الرواد، فاتن عبدالجبار جواد: ١٧.

(٤) الذاكرة وأثرها في شعر بدر شاكر السياب ومصادرها : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٥) ينظر : تفسير الأحلام، تر : عبدالمنعم الحفني : ٤ .

(٦) ينظر : الذاكرة وأثرها في شعر بدر شاكر السياب : ٢٤٧ .

(٧) الذاكرة في الفلسفة والأدب، ميري ورنوك، تر: فلاح رحيم : ١٣٦ .

(٨) ينظر : الدماغ والفكر، تشارلز فيرست، تر: د. محمود سيد ر : ١٧٧ .

إلى العامل ذي المدى البعيد، فمن خلاله يستطيع أن يصيغ رؤيته الشعرية، فهو تذكر حنيني يعود لأيام الصبا والشباب، ولاسيما تذكر مرحلة الطفولة، ولهذا نجد أن كثيراً من الشعراء يلجئون إلى هذا النوع من التذكر، إذ لا يخلو شعر من وجود أثر الذاكرة فيه، مما له بالغ الأثر في تشكيل رؤية الذات الشاعرة .

الخاتمة

- وفي ختام رحلتنا البحثية هذه خرجنا بجملته من النتائج نسطرها على النحو الآتي .
- كشف البحث أن لمفهوم الرؤية الشعرية أهمية كبيرة في العمل الأدبي، فهي تعد من أبرز مرتكزاته، وقد فرق علماء اللغة بين الرؤية الباصرة والرؤية المنامية، لكن في مفهومنا الفلسفي للرؤية وجدنا أن الرؤية بـ (التاء المربوطة) تعني الشمولية أي: شمولية المحتوى حسب نظرية بليك، فالرؤية الشعرية عنده رباعية الأبعاد من خلال تدرج خاص لتصل بأبعادها كافة إلى الذروة التي تمثل الرؤية الإبداعية بشكل عام؛ لأنها تمتد من البصر إلى القلب إلى الخيال، وهذا هو مكن السر في جمال الشعر .
 - كشف البحث أن الرؤية -بالتاء- في الاصطلاح الفلسفي تكون مختصة بما يكون في اليقظة، أما الرؤيا -بالألف- فتكون مختصة بالخيال، وفي الاصطلاح الأدبي فالرؤية تعني وجهة النظر، وهي أيضاً نوع من المعرفة التي تتخطى نظام العلم المحدود بالظاهر المحسوس، وهي سمة الشاعر الأصيل .
 - كشف البحث عن أن الرؤية في الفكر الفلسفي اليوناني والعربي قائمة على المحاكاة، بوصفها عنصراً أصيلاً في الشعر، وقد أستعمل العرب كذلك مصطلح التخيل وجعله عنصراً أساسياً في تحديد مفهوم الرؤية .
 - كشف البحث أيضاً عن دور النقاد العرب في تحديد مفهوم الرؤية، ولا سيما الجرجاني والقرطاجني، إذ استعملوا مصطلح التخيل استعمالاً واعياً، وربطوه مع مفهوم الرؤية، ومن النقاد المحدثين الذين تحدثوا عن مفهوم الرؤية الناقد غالي شكري إذ عدها أحد العناصر الأساسية في الشعر .
 - بين البحث أيضاً دور النقاد الغرب في تحديد مفهوم الرؤية، إذ جعلوها مرادفة للأدب، وقد اتضح مفهومها لدى العديد من النقاد، وعلى رأسهم الناقد وليام بليك الذي جمع بين مستويات الرؤية الشعرية (البصرية، والقلبية، والحلمية).
 - كشف البحث أيضاً أن لمفهوم الرؤية الشعرية عدة عناصر يتكون منها لنص الشعري، فالشاعر يعتمد عناصر مختلفة للتعبير عن رؤيته تجاه محيطه وتقسيم هذه العناصر على : أولاً: الانزياح الذي يعد بؤرة التشكيل اللغوي للنص الشعري، وثانياً: الخيال، إذ إن أي عمل جمالي تزداد أهميته بمقدار الرؤية التخيلية المتوهجة فيه، وثالثاً: الصورة، فالشاعر لا يتيأسر

له أن ينقل تجربته إلا من خلال الصور الشعرية، والناقد كذلك لا يستطيع إطلاق حكم حقيقي إلا بالاعتماد على دراسة الصورة الشعرية، ورابعاً: الذاكرة، التي تعد رحم المخيلة البشرية الذي تختزن فيه مجموعة من الصور الحقيقية والمفترضة، وهي القلب النابض والواهب للتذكر .